العرب
الأربعاء 2021/10/06
السنة 44 العدد 12201

سكيتشات تضفي على فن البوب آرت نكهة لبنانية

عناية إيناس حديب تمسك بروح الأشياء المُغادرة لتهبها حياة جديدة في الزمن الحاضر

تهب الفنانة التشكيلية عناية إيناس حديب المقيمة في هولندا منذ أكثر من أربع عشرة سنة فن البوب آرت العالمي نكهة لبنانية مؤثرة، وذلك من خلال مجموعة كبيرة من الأعمال حافظت على وتيرة إظهارها على صفحتها الفيسبوكية.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

تستمر الفنانة التشكيلية اللبنانية عناية إيناس حديب بنشر صور لأعمالها الفنية على صفحتها الفيسبوكية يمكن ضمها في مجموعة واحدة، وتتشكّل هذه المجموعة من لوحات متوسطة وصغيرة الحجم جسّدت قناني وعلبا لمنتجات تجارية اشتهرت في الماضي، لاسيما في فترة الثمانينات وندر أن يكون أي بيت لبناني قد خلى منها. من تلك المنتجات نذكر علبا لماركات شهيرة من حليب البودرة والعصائر والسكاكر.

الغريب في الأمر أن الفنانة توردها على صفحتها مع تعليقات توحي بأنها لا تعيرها اهتماما يفوق حد كونها مجموعة تتوسّع مع كل إضافة رسم.

وأطلقت عليها صفة "سكيتشات" أي "رسوم أولية"، وهي ليست أقل من أعمال فنية ناضجة ترتجّ فيها ملامح الأشياء المرسومة وكأنها بعد رحلة مرهقة في مسبار الزمن نحو المستقبل، أي زمننا الحاضر.

الفنانة تستعيد تشكيل المنتجات القديمة بحساسية واضحة غير خالية من الشعر ولا من المرح

وهذه الأعمال هي أبعد ما يكون عن تخطيطات أولية، لا من ناحية رسمها وألوانها، ولا من ناحية الخلفية الفنية التي تستعيد فيها الفنانة "صبغات" وتصاميم لونية درج استخدامها كثيرا في السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، لاسيما في تغليف علب الهدايا وورق الطلاء الملوّن الذي كان يتم لصقه على الجدران أو في دواخل الجوارير الخشبية، جوارير كانت تعبق منها رائحة الورق والمواد الملوّنة.

ديمومة الذاكرة

أما ما هو أغرب من ذلك فهو الأسلوب العفوي الذي تتعاطى فيه الفنانة مع كل ما يتعلق بتلك الأعمال. أسلوب كثّف شعور الناظر إلى الأعمال بأن كل استعادة لأشياء الماضي التي تقدّمها حديب بحساسية واضحة هي ضرب من ضروب لعبة خاصة جدا لا تخلو لا من الشعر ولا من المرح، ولا تخلو أيضا من المصداقية.

هنا نذكر بعض ما كتبته الفنانة ليرافق صور أعمالها المنشورة على صفحتها الفيسبوكية "سكيتش الليلة البارحة"، و"سكيتش اليوم" و"استمر في رسم السكيتشات اليوم".

يرى الناظر إلى هذه الأعمال الفنية المتتالية دعوة كي يقيم بحثا عمّا نشرته الفنانة سابقا من تلك المجموعة ليجد ذاته يدخل في ما يشبه "لعبتها"، بل لنقل "ملهاتها" الطفولية/ السحرية التي ابتكرتها ومارستها خلال فترات متباعدة من الزمن.

هي، أي الفنانة، في قانون تلك الملهاة تُعيد وتستعيد وتبتكر على ورق وقماش، وهو، أي الناظر إلى الأعمال المُنجزة، لاسيما ذاك الذي "تجاور" مع تلك الأشياء في الواقع مكانيا وزمنيا وربما احتفظ ببعضها من طفولته على رف مكتبة أو على طاولة إلى جانب كنبته المفضلة، هو يغوص في ذكرياته بحثا وتلقفا لكل ما دار في فلك هذه الأشياء من أحداث وكل من حضر من شخوص.

وعند سؤالنا لها كيف يمكن أن تذكر كل هذه الأشياء، أو على الأقل أن تعني لها حدّ رسمها وجعلها أبطالا تحتل المساحة الخلفية اللونية، وهي من مواليد 1983، أجابت "أعتقد أنني أملك ذاكرة قوية جدا.. وقمت في أحيان كثيرة برسم بعض تلك الأشياء عن قصد منقوصة أو بضياع تفاصيل ملامحها، ذلك لأنها فعلا غابت بشكلها عن ذاكرتي".

وتسترسل "أحيانا أتذكّر أشياء ومنتوجات معينة، ولكن لا أذكر هيئتها، فأحاول أن أبحث ما بين الأصحاب والأقرباء عن صور فوتوغرافية لها. وقد أرسل لي الكثيرون صورا تُظهرها، فاستطعت تذكّر شكلها، ومن ثمة نقلها إلى رسومات. وعندما لا أعثر على تلك الصور ألتجئ إلى المواقع الإلكترونية لعلها تحتفظ بطريقة أو بأخرى بصور لها".

وليست حديب لا أول ولا آخر فنانة رسمت أشياء وبضائع استهلاكية من الماضي، أصبحت أيقونات لعصرها. وربما لأجل ذلك قد تُعتبر أعمالها منتمية إلى عالم البوب آرت.

وإن كانت فعلا كذلك، فقد وهبت الفنانة البوب آرت نبرة حميمية وخصوصية لا يؤمن بها فن البوب آرت الذي من أحد أهم مقوماته هو إبراز نسخ عديدة من الشيء الواحد في لوحة واحدة دحرا لمنطق الفرادة والخصوصية، وتعبيرا عن سلطة المجتمع القائم على الاستهلاكية والوفرة.

خصوصية متمرّدة

بقيت أعمال الفنانة ناطقة بأحوالها وزمنها الخاص الناجي من الماضي ومنها ما ظهرت فيه الأشكال الهندسية التي كانت ترصّف بها أرض الديار البيروتية. ومنها ما ارتبط بعادات مارسها معظم سكان بيروت، وهي وضع النبات كالحبق والزعتر في علب الحليب الفارغة.

وأغلبها يملك ظلالا واقعية وأخرى غير واقعية كما في اللوحة التي تظهر قطعة سكاكر مطاولة. وبعضها يواكبه تفصيل صغير يدل على ماهية الشيء المرسوم كما الإبرة وخيطها في صورة يحضر فيها مغلف الإبر الشهير برسومات الأزهار الملونة.

أما تلك الرسومات الأقرب إلى "السكيتشات"، وهي ليست كذلك البتة إلا لناحية الورقة البيضاء التي رسمت عليه، فترسمها الفنانة نازعة عنها صفة السلعة جاعلة منها منتوجا غير قابل للاستهلاك، شيء أنقذته من النسيان ومكّنته من فرادة وخصوصية في زمن تكاثرت فيه ماركات السلع ورداءتها المتخفية تحت حملات إعلانية نجحت في تجميلها وتحسين سيرتها الشخصية.

وإنتاج الفنانة لا يقتصر على إعطاء صوت لتلك الأشياء الغابرة فقط، فقد رسمت أيضا مجموعة رائعة لقوة تعبيرها عن كلاب في مختلف أحوالها النفسية لاسيما الذعر والعدوانية والتربص لشر غير مكشوف عنه في اللوحة.

وتلقي الفنانة اللبنانية نظرة على العالم الذي تسكنه وذلك الذي وصل إليها عبر صور وأحاديث وشظايا ذكريات شخصية، فتقبض على أرواح الأشياء برفق لا يطفئها ولا هو يعيدها إلى الحياة إلاّ من خلال زمن يسير بموازاة من زمننا الحالي، وهو زمن الذاكرة وديمومتها.

أعمال ناطقة بأحوالها وزمنها الخاص

منتوج غير قابل للاستهلاك.. إلا جماليا

رسوم أولية لأشياء هاربة من زمن كان

المصري أحمد نبيل يسرد في «خيال المآتة» سيرة حياة الأولين وصمودهم

القاهرة - يتواصل بقاعة "الباب سليم" ساحة متحف الفن المصري الحديث بالأوبرا المصرية حتى نهاية شهر أكتوبر الجاري المعرض الفردي الجديد للفنان أحمد نبيل المعنون بـ"خيال المآتة"، يستعرض من خلاله الفنان المصري المخضرم باقة من أحدث إبداعاته الفنية.

وعن المعرض قال خالد سرور رئيس قطاع الفنون التشكيلية المصرية "يستمر الفنان أحمد نبيل في الغوص بين صفحات الموروث الثقافي الشعبي، هذا الأثير الذي شُغف به وأبحر بين ثناياه الملهمة منتقيا في كل عمل وفي كل عرض جديد ملمحا مختلفا، وقد استثار مخيلته الإبداعية موظفا المعنى الراسخ بوجدان المتلقي ليحمل أفكارا ومعاني متعدّدة خارج السياق التقليدي، ولكن في تناغم جمالي وفني يحفظ هذا المعنى ويحفظ معه حقه كمبدع في الخيال والإبداع (...) 'خيال المآتة' مثير جديد ينتمي بلا شك إلى هذه القرية التي طالما استحوذت بتفاصيلها وعاداتها وثقافتها عليه".

هنّ واهبات الحياة.. صانعات الخيال

و"خيال المآتة" أو الفزّاعة هي دمية أو مانيكان تأتي على شكل إنسان مصنوعة من القش المخبأ في ثياب. وهي تستخدم عادة لترهيب الطيور والحيوانات الأخرى في المزارع كي لا تأكل البذور والبراعم والفاكهة، كما تستعمل أيضا كأهداف للتدريب على الرمي أو ضربات السيف أو كدمى للحرق أو للفت انتباه الثيران.

وتفنّن الفلاحون العرب في صناعة "خيال المآتة"، وهو بصورة عامة مصنوع من تقاطع خشبتين على شكل صليب ويلبسونه الدشداشة في العراق والبشت في الخليج والجلبية في مصر والسروال في بلاد الشام، ويحشونه بالقش ويضعون الطربوش أو العقال أو الجراوية أو العمامة كغطاء للرأس وكل حسب زيه المحلي المستخدم في بلاده.

لكن "خيال مآتة" نبيل يتجلى في معرضه الجديد في صورة امرأة تلعب دورا في الدفاع عمّا تملك من بيت ومساحة صُغرى من الأرض، تُمثل لها العالم أجمع، حيث تقف باسقة بصلابة للدفاع عن حياتها وأرضها.

وتقول رشا ابنة الفنان "تَضُجّ كل لوحة من هذه المجموعة بالتفاصيل العامرة، التي لا تَترُك مجالا للعين أن تستكين أو تستريح، بل تُجبرها على أن تجوب العمل بلا كلل أو رتابة. في النهاية ها هنّ النساء، يُشهرهنّ الفنان بطلات في وجه الحياة، يَزرعهنّ في الأرض شامخات ثابتات، فهنّ واهبات الحياة، صانعات الخيال، ساكنات عالم السحر والجمال".

ولا يزال التشكيلي المصري يتمسّك عبر أكثر من ستة عقود من الإبداع بطرح كائنات تشبهه، منفتحا على الطبيعة البكر، الحافلة بالبشر مكتملي الإنسانية والطيور والنباتات والأحجار التي يمكن منحها صفة الحياة.

وهو في ذلك يقول "حريتي كفنان هي التي تكفل لي فرض شخصيتي، والتمرّد على قيود المدارس والمذاهب بالاندماج الأرحب في نسيج الوجود، والعودة إلى الطبيعة الأم، حيث أتفاعل تفاعلا مباشرا وملموسا مع الكائنات التي أصوّرها والمفردات المهملة".

> قوة المعرض تتجلى في صورة امرأة تلعب دورا في الدفاع عمّا تملك من بيت وأرض صغيرة يمثلان لها العالم أجمع

ويحكي الفنان بعد إقامة طويلة في دول غربية "أستشعر لاحقا بالغربة كإنسان، وكفنان، ومن ثم عاودني الحنين إلى التصوير الزيتي في بيئة ريفية، ومجتمع صحراوي، ودفعني هذا الاستغراق إلى تكوين بيت صغير يعجّ بالنباتات والطيور والحيوانات، وينفتح فضاؤه على الطبيعة البكر، ويحيطه البشر مكتملو الإنسانية".

ويؤمن نبيل بأن أبرز منجزات الحداثة في تجربة الفن الجديد بالعالم الغربي تتمثل في الاحتفاء البالغ بقيمة اللون، بوصفه أوضح وأعمق مفردات اللغة.

نسوة مزروعات في أديم الأرض بشموخ وثبات

وتنفتح تجربة التشكيلي المخضرم على الحياة القريبة والمفردات الشعبية البسيطة، وهذا ما يراه هو معبّرا للوصول إلى المتلقي العادي، ووسيلة لكسر نخبوية الفنون البصرية، فالتشكيل في الأساس هو فن الهواء الطلق، والمتاحف المفتوحة لعموم الناس أينما كانوا.

ويرسم نبيل كي يطالع الجمهور أعماله على نطاق واسع، ومن هذا المنطلق اتجه في وقت سابق إلى التصوير الجداري، وأسهم في تصميم وتنفيذ مجموعة من الجداريات لمحطات مترو الأنفاق، ومطار القاهرة الدولي، وواجهة المسرح المكشوف بمدينة الإنتاج الإعلامي، وغيرها من الأمكنة العامة.

وعن ذلك يقول "أحبّ أن أكون واحدا من هذا العالم"، موضّحا أن الفنان قادر على خلع صفة الحياة على العناصر التي يصوّرها، حتى وإن كانت حجارة صماء، وذلك من خلال تمرير مفردات العمل الفني جميعها على مختبر الذات أولا، لتنطق بلسان الفنان ونبضه.

ويسعى نبيل في مجمل أعماله لخلق خلايا العملية التصويرية من عصارات النباتات وظلال النساء وحركة الخيول ورفرفة الطيور وغموض الفزّاعات وانكسار الأضواء وانعكاسها على تكثّف الزمن في خبرات العمر الذي جاوز الثمانين عاما.

والمرأة والطائر والنبات أبرز أقانيم الفنان في تجربته الممتدة بصفة عامة، وفي "خيال المآتة" بشكل خاص يعالجها عادة بأقل قدر من التحريف الفني ومن التجسيم الأسطواني، مستخدما درجات اللون الأزرق وهي تسري كالحلم في هشيم الحياة.

وأحمد نبيل تشكيلي مصري من مواليد محافظة القليوبية في العام 1937، حاصل على بكالوريوس من كلية الفنون الجميلة قسم التصوير من جامعة حلوان عام 1960، ودبلوم أكاديمية الفنون الجميلة من أكاديمية مايكل أنغلو بفلورانسا الإيطالية في التصوير الجداري سنة 1974.

وشغل الفنان وظائف أستاذ ورئيس قسم التصوير بكلية الفنون الجميلة جامعة حلوان، ووكيل كلية الفنون الجميلة لشؤون التعليم، وشارك في الحركة الفنية المصرية بمعارض شخصية وجماعية عربية وغربية، حاز خلالها العديد من الجوائز والتكريمات، وأعماله مقتناة في عدد من المؤسسات الرسمية والخاصة بمصر وخارجها.